أ.د. محمد رضا رضوان طلب
أستاذ في جامعة طهران

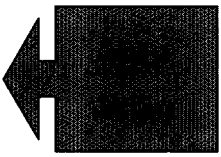

الصحوة الإسلامية ودورها في تغيير موازين القوى العالمية

مقدمة:

تباينت الآراء ووجهات النظر إزاء المعطيات والتحولات الهامة التي نشهدها في وقتنا الحاضر والتي انطلقت شرارتها الأولى من منطقة شمال أفريقيا وبالتحديد تونس، فالبعض وتبعاً لرؤية قائد الثورة الإسلامية الإمام الخامنئي (دام ظله الوارف) اعتبر أن الأحداث الجارية هي صحوة إسلامية شاملة، وآخرون وصفوا هذه التحولات - من دون دراسة الجذور التاريخية للأوضاع في المنطقة - بالربيع العربي، أو على الأقل سعوا إلى الشك والترديد في دوافعها وهويتها الدينية والعقائدية.

وتتطرق هذه المقالة إلى الجذور التأريخية لما يشهده عالمنا الإسلامي من تحولات ونهضات واسعة النطاق، مع عرض صورة إجمالية عن خريطة النظام العالمي في العصور الإسلامية، ومن ثم بيان أسس نشأة النظام الجديد، وفي الختام نتطرق إلى دور وفاعلية الإسلام والصحوة الإسلامية على صعيد خارطة موازين القوى العالمية في عصرنا الحاضر.

المصطلحات الرئيسية: الصحوة الإسلامية، النظام العالمي الجديد، البروتوكولات الصهيونية، اليهودية والإسلام، المسيحية الصهيونية.

طرح المسألة:

ما هي الهوية الحقيقية والجذور التأريخية للنهضات الواسعة التي حققت النجاح في غضون السنوات الأخيرة وبفارق زمني ضئيل؟ .. ما هي الحقوق والمطالب التي نادت بها الشعوب الثائرة؟.. أي الدول ساندت ووقفت إلى جانب هذه الحركات والنهضات وأي الحكومات وقفت ضدها؟ .. أي الأنظمة تضررت جراء هذه الحركات وانتابها الرعب والذعر؟ .. ما هي القواسم والنقاط المشتركة فيما بين هذه النهضات؟ .. وأخيراً.. ما هو تأثير هذه الثورات على صعيد موازين القوى العالمية؟ .. هذه المقالة تحاول إثبات فرضية أن الصراع الجاري حالياً إنما هو امتداد للصراع بين الحق والباطل، الصراع الذي بدأ أول مرة بين هابيل وقابيل ثم استمر إلى زمان النبي الأعظم (ص) والذي تجسد في حقد اليهود واصطفافهم ضد نبي الإسلام (ص).

ومنذ حوالي المائة سنة الماضية، أصبحت فكرة الهيمنة السياسية على العالم والسيطرة على بلاد المسلمين وقيام دولتهم الكبرى من النيل إلى الفرات، تخالج أفكار الحركة الصهيونية العالمية، إلا أن الغضب المكبوت في أعماق أمة الإسلام وسائر الأحرار في العالم قد انفجر اليوم ليمضي قدماً نحو اقتلاع جذور الظلم والإستبداد وتحطيم عروش قوى الهيمنة والإستكبار.

موازين القوى في عصر البعثة النبوية الشريفة:

إن من بين كافة الأمم والأحزاب المختلفة التي عادت النبي الأعظم (ص) واصطفت ضد الإسلام والمسلمين، كان اليهود هم الأكثر عداء للرسول الأمين (ص). قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ

وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[١]، وعلى الرغم من أن النبي الأعظم (ص) كان يسعى دوماً إلى تحقيق السلام ويبدي اهتماماً بالغاً بالتعايش السلمي إلى جانب كافة الطوائف والأديان، حيث أبرم (ص) العديد من العهود والمواثيق لتحقيق هذا الهدف، إلا أن اليهود كانوا عادة ما ينقضون هذه العهود، وكانت نتيجة ذلك وقوع العديد من الحروب والغزوات كغزوة بني قريظة وبني القينقاع وبني النضير وخيبر، ولم يكتف اليهود بذلك بل إنهم راحوا يحرضون الطوائف الأخرى وخاصة المشركين ضد الرسول الأعظم (ص).

وتتطرق الآية السابقة إلى أسباب وعلل هذه الخصومة والإصطفاف ضد النبي (ص)، فتشير بصورة ضمنية إلى طبيعة المسيحيين ذات الإتجاه السلمي والرغبة في العيش المشترك، على نقيض طبائع اليهود المرتكزة على الروحية الإستكبارية والهيمنة والتسلط. فها هي الظواهر والسلوكيات العامة عند المسيحيين يغلب عليها طابع الإلتزام والتعهد الأخلاقي والإجتماعي، بخلاف السلوكيات المتعارفة بشكل عام عند اليهود والتي يغلب عليها ملامح عدم التعهد والإلتزام بالمواثيق والأعراف. قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٢].

ويرى القرطبي في تفسير هذه الآية أن المراد من الأول هو عبد الله بن سلام المسيحي ومن الثاني فنحاص بن عازوراء اليهودي[٣]، أما مفسرو الشيعة فيعتبرون أن هذين السلوكين المتناقضين هما على التوالي من الخصوصيات والظواهر السلوكية عند المسيحيين واليهود بشكل عام[٤].

ويوجد في القرآن الكريم ما يقرب من مائة وعشرين آية تتطرق إلى بيان الخصائص السلوكية والنفسية لليهود، منها إحدى عشرة آية تشير إلى السلبيات الأخلاقية الموجودة عندهم.

وعلى الرغم من ذلك ما برح الإسلام يدعوهم إلى السلم والسلام والتعايش المشترك ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا

نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾[٥] والتأكيد على أن تجنب النزعة السلطوية والطبيعة الإستكبارية هو أساس العيش السلمي المشترك، معتبراً أن حقيقة النزاع والخصومة بين أتباع الأديان السماوية تكمن في النزعة السلطوية الموجودة لدى بعض أهل الكتاب، وإلا فإن الإلتزام بالأصلين المشتركين لدى كافة الأديان السماوية أي: التوحيد ونفي الشرك، لا يترك مجالاً للخصومة والنزاع.

ولكن بالرغم من كل أبداه الإسلام من حسن نية تجاه اليهود، إلا أن معاداتهم للإسلام وللنبي الأعظم (ص) استمرت كما هي، وحسب بعض المؤرخين المسلمين فإن النبي الأعظم (ص) توفي بالسم الذي دسته اليهودية في طعامه بغزوة خيبر (قالت عائشة كان النبي صلى الله علىه وآله وسلم ىقول في مرضه الذي مات فىه ىا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخىبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السّم)[٦].

أوضاع اليهود بعد وفاة النبي الأكرم (ص):

من الطبيعي أن ينتاب اليهود الذين بذلوا كل سعيهم وجهدهم من أجل القضاء على الدين الإسلامي، شعوراً بالرضا والإرتياح بعد رحيل الرسول الأعظم (ص)، ويزداد فيهم الإحساس بالأمل ويضاعفوا جهدهم، بالرغم من اعتراف المؤرخين المحايدين بأن أتباع الدين اليهودي القاطنين في بلاد الإسلام كانوا يتمتعون بالحرية الدينية التامة وبالمستوى الذي لم يتمتع به اليهود القاطنين في الإمبراطورية البيزنطية (الروم الشرقية) التي اتخذت من المسيحية ديناً رسمياً لها.

ويذكر المؤرخون أن اليهود في عصر سلطة المسيحيين في أوروبا شهدوا أحد أسوأ فترات حياتهم سوداوية، إذ كان المسيحيون يعاملونهم بقسوة وعنف، كما أن المسلمين كان لهم أيضاً نصيب من هذه الممارسات القمعية الجائرة إبان تلك الفترة، حيث لجأوا إلى الإمبراطورية العثمانية برفقة مجاميع من اليهود هرباً من جور المسيحيين وظلمهم.

وهكذا تمكن اليهود من العيش الكريم في أحضان البلاد الإسلامية، وتشير المصادر

التأريخية إلى أنهم كانوا يتشبهون بالمسلمين في العادات والتقاليد واللغة بل وحتى في اللبوس، بحيث كان يصعب تمييز اليهودي عن المسلم، وهكذا تمكنوا من النفوذ في أوساط المجتمع الإسلامي، كما نجحوا في النفوذ في بلاط السلاطين المسلمين تحت عناوين مختلفة كالطبيب والأخصائي، ومن خلال ذلك كانوا ينتهزون الفرص السانحة لممارسة الخداع والسعي للتسلط والنفوذ في شتى مناحي الحياة، أما المسيحيون فإنهم قياساً مع ممارسات وطبائع اليهود، كانت لهم توجهات أكثر سلمية، وكان زعمائهم وخاصة البابوات من دعاة التسامح.

وعلى أي حال، ففي غضون الحرب الصليبية، تم قتل الكثير من اليهود على أيدي المسيحيين في دول أوروبية ومنها ألمانيا، أو أجبروا على الهجرة حيث هاجر الكثير منهم إلى أورشليم، وهي الأرض التي كان العرب المسلمون يعيشون فيها منذ القرون الخالية.

تنافس القوى العالمية في الهيمنة على العالم ودور اليهود:

انشغلت القوى العالمية الكبرى بعد انتهاء الحروب الصليبية في رسم ملامح جديدة لموازين القوى العالمية بالصورة التي تضمن مصالحها ومنافعها الإستعمارية، وكان من أهم استراتيجياتها لتحقيق هذه الطموحات، تحطيم الحصن الحصين للإمبراطورية العثمانية للوصول إلى منطقة الشرق الأوسط، ولذا كانت الدول الأوروبية تتسابق فيما بينها لإيجاد موطئ قدم لها في هذه المنطقة الإستراتيجية الهامة، ولتحقيق هذا الهدف حاول نابليون بونابرت استقطاب الجاليات اليهودية في المنطقة وكسب دعمهم في مواجهته مع الإمبراطورية العثمانية، إلا أن محاولاته باءت بالفشل.

ثم حاول بسمارك (مستشار ألمانيا الأسبق) استخدام اليهود لحراسة خط سكة الحديد الذي كان من المقرر أن يربط مدينة برن في ألمانيا ببغداد[٧]. وفي النهاية جاء دور بريطانيا لتحقق أفكارها وتطلعاتها القديمة في خلق الحركة الصهيونية وترغيب يهود أوروبا الشرقية وروسيا والغرب بالهجرة إلى فلسطين وتشكيل الدولة اليهودية لكي تتولى مهمة حراسة المصالح البريطانية في المنطقة[٨].

وهناك الكثير من الأدلة والوثائق التي تؤكد دور القوى الإستعمارية الكبرى وعلى وجه الخصوص بريطانيا، في نشوء الصهيونية وكيان الإحتلال الصهيوني، فعلى سبيل المثال اعترفت صحيفة التايمز البريطانية في عام ١٨٤٠ بأن مقترح توطين اليهود في الأراضي الفلسطينية يتمتع بدعم خمس قوى عالمية، ثم صرح "تيودور هرتزل" المعروف بدوره البارز في ولادة الصهيونية والذي اشتهر بكونه مؤسس الحركة الصهيونية بأن "العودة إلى أرض الآباء ... من أبرز القضايا السياسية التي تستأثر باهتمام القوى التي تبحث عن شيء لها في آسيا".

ولكن كما ذكرنا آنفاً فإن بريطانيا كان لها قصب السبق من بين كافة القوى الأوروبية الأخرى، فقامت بابتداع الفكرة الصهيونية[٩] لتمهد بذلك إلى تأسيس الكيان الصهيوني الغاصب. وببيان آخر: إنه بعد صراعات طويلة بين التيارات الصهيونية، تمكن الجناح الصهيوني المؤيد لبريطانيا - الجناح التابع لعازر وايزمان أحد أوائل الزعماء الصهاينة - من فرض رؤيته المتوافقة مع رؤية البريطانيين باختيار فلسطين باعتبارها المقر النهائي لليهود، أو بحسب زعمهم "أرض الميعاد"[١٠].

لقد كان اليهود هم الخيار الوحيد لإنشاء دولة ترعى مصالح الغرب في منطقة الشرق الأوسط الإستراتيجية، فهذا هو اللورد "ارل شافتسبري السابع"[١١] وهو من الشخصيات السياسية البريطانية البارزة وأحد الصهاينة المسيحيين، يرى أن توطين اليهود في فلسطين لم يعد بالنفع على البريطانيين لوحدهم بل استفاد منه العالم المتمدن (الغرب) بأسره.

من جهة أخرى كان تيودور هرتزل يعتقد بأن باستطاعة اليهود حل مشاكل الغرب في الشرق الأوسط.

أما ماكس نوردو فقد صرح "إننا سنبقى نحافظ على الثقافة الاوروبية في الأراضي المحتلة ... إننا نسخر من الفكرة التي تقول بأن علينا أن نصبح آسيويين".

والأدهى من ذلك كله ما اقترحه أحد القسيسين المسيحيين بأنه ومن أجل الإبقاء على الهند تحت السيطرة البريطانية يجب توطين اليهود في فلسطين.

وعلى أي حال فإن الصهاينة يعتبرون أنفسهم حاملي لواء الحضارة الغربية الساعين إلى تحكيم ركائز الديموقراطية الغربية في منطقة الشرق الأوسط[١٢].

وهكذا نستنتج مما تقدم بأن المتطلبات الثقافية والسياسية والإقتصادية والعسكرية الغربية -وخاصة بريطانيا- على ضوء المستجدات التي فرضت بحكم معادلات وموازين القوى العالمية، كانت هي الدافع وراء تأسيس الكيان الصهيوني واستمرار احتلاله للأراضي الفلسطينية لحد الآن للحفاظ على مصالح القوى الإستعمارية في منطقة الشرق الأوسط[١٣].

إن ولادة الفكرة الصهيونية والتي أعلن عنها في مؤتمر "بال" بسويسرا عام ١٨٩٨ بقيادة تيودور هرتزل، جاءت بالإستناد على عوامل عديدة منها: تضخيم قضية معاداة السامية ومعاداة اليهود، والقوة المالية لليهود، والدعم الكبير الذي بذلته القوى الاوروبية، ودعوى أن اليهود هم "شعب الله المختار" وأفكار ووعود دينية أخرى، بالإضافة إلى بعض الأحداث والوقائع التأريخية.

وبعد أن تم الإعلان عن ولادة الحركة الصهيونية، بذل زعماء الصهاينة جهوداً حثيثة لإقامة دولة اليهود في "أرض الميعاد" والتي يعتقد الصهاينة بأن التوراة وعدت اليهود أنها الأرض التي سيستقرون فيها.

هناك تساؤل كان ولا يزال يطرح نفسه، وهو: هل إن انجلترا أو بريطانيا العظمى التي اشتهرت بالإستعمار العجوز هي التي استغلت الصهيونية واستخدمتها لخدمة مصالحها وأطماعها الإستعمارية والتوسعية؟.. أم أن الصهيونية العالمية هي التي استفادت من خدمات الإمبراطورية البريطانية بل أخضعت هذه الإمبراطورية لسيطرتها وهيمنتها من أجل تحقيق مصالحها

وللإجابة على هذا التساؤل ينبغي أولاً أن نعيد قراءة تأريخ القرنين الأخيرين ليتضح كيف أن الصهيونية التي هي صنيعة بريطانية استطاعت بمجرد تثبيت وجودها وتحكيم قوتها أن تستخدم من أوجدها واخترعها لخدمة مصالحها وأطماعها.

لقد كانت الحرب العالمية الأولى بمثابة فرصة ذهبية[١٤] للحركة الصهيونية لتحقيق

آمالها وأمنياتها القديمة، ففي هذه الحرب انهارت الإمبراطورية العثمانية والتي كانت بمثابة أهم مانع لتأسيس الدولة اليهودية[١٥]. وفي المقابل أبدى البريطانيون حماساً أكبر في دعم مطالب الحركة الصهيونية[١٦].

وفي أيار/مايو من عام ١٩١٦ وقعت الحكومتين الإنجليزية والفرنسية تفاهماً سرياً عرف باتفاقية "سايكس بيكو" لتقسيم البلدان العربية والمنطقة الآسيوية الخاضعة لسيطرة الإمبراطورية العثمانية. وقرر حسب هذه الإتفاقية أن تقع فلسطين تحت إدارة دولية، وبعد مضي شهر اندلعت الثورة العربية ضد الإمبراطورية العثمانية بقيادة فيصل ابن الشريف حسين، وبعد محاصرة القواعد العسكرية وتبادل إطلاق النار تمكن الثوار من السيطرة على مدن مكة والطائف وجدة، وهكذا دخلت الأحداث في المنطقة مرحلة جديدة[١٧].

وفي تشرين الثاني/نوفمبر من عام ١٩١٧تم الإعلان عن وعد بلفور، حيث أعلنت الحكومة البريطانية عن نيتها في إيجاد دولة يهودية في فلسطين، وتم تشكيل هذه الدولة برعاية إنجليزية مباشرة، ثم ما لبث هذا الكيان المزيف أن شكل محوراً من محاور معادلات القوى الإقليمية والدولية عبر ممارسة مختلف ألوان الخداع والتضليل.

وبعد صدور وعد بلفور، وضعت بريطانيا نفسها رسمياً في خدمة أجندات المنظمة الصهيونية العالمية وإجراء بعض البنود الأساسية لبروتوكولات حكماء صهيون، ثم ما لبثت العناصر المختلفة المحسوبة على حركة الصهيونية العالمية أن تبوأت المناصب الهامة المسؤولة عن رسم الإستراتيجيات الإستعمارية والتوسعية البريطانية بحيث تمكن اللوبي الصهيوني من فرض نفسه بقوة على القرار السياسي والإقتصادي في هذا البلد، وقد بلغت تلك الهيمنة درجة عبر عنها الناشط البريطاني البارز وأحد أصدقاء السيد جمال الدين الأسد آبادي وهو "ويلفريد سكاون بلونت" في رسالته إلى الدكتور السيد محمد الهندي بتأريخ ١٩١٣/٧/٢٨ بالعنوان التالي: "موت انجلترا كأمة".

يقول بلونت:

"إن شؤون الإمبراطورية البريطانية لا تدار اليوم بواسطة الإنجليزيين ووفق الأصول

الإنجليزية أو من أجل مصالح إنجلترا، بل إنها تدار من قبل شرذمة من الأشرار الدوليين الذين أفسدوا علينا الحياة الإجتماعية، والذين يعد المال إلههم الوحيد. إن إنجلترا كأمة قد ماتت بكل أمانيها وتطلعاتها العريقة ... "

وينبغي هنا الإشارة إلى أن الشخص الذي أصدر وعد بلفور لصالح الصهاينة في ١٩١٧/١١/٢ وهو "ديفيد لويد جورج" تعود جذوره إلى عائلة "صاموئيل" اليهودية، وهو رئيس وزراء أكثر الحكومات البريطانية فساداً على مر التأريخ.

ومن السياسيين البارزين التابعين لبؤر الصهيونية العالمية، يجب الإشارة أيضاً إلى "وينستون تشرتشل" الذي وصلت عائلته إلى ما وصلت إليه من ثروة ونفوذ من خلال تعاقداتها مع مقاولي السلاح اليهود وخاصة السير "سليمان مدينا".

وإلى جانب الدور الريادي الذي قامت به بريطانيا في تقديم الدعم للصهيونية وللكيان الصهيوني، فإنه يجب الإشارة أيضاً إلى الدور الكبير الذي قامت به الحكومة الأميركية في هذا السياق والتي لم تدخر جهداً في تقديم مختلف أنواع الدعم والمساندة لكيان الإحتلال الصهيوني.

ويكفي أن نشير إلى أن حوالي ٨٠ بالمائة من ثروة الولايات المتحدة الأميركية، إضافة إلى أكثر الوظائف والمناصب الحساسة في هذا البلد تقع تحت سيطرة الصهاينة، فعلى سبيل المثال يملك الصهاينة ثمة أكبر الشركات والبنوك والجامعات الأميركية، ومنها شركة ستاندارد أويل، وبنك مانهاتن، وبنك مورجان استانلي، وبنك لهمان برودرس، وبنك فايرست بوستون كوربوريشن، وبنك لازارد براذرز، وجامعة شيكاغو و...

وهكذا يتضح كيف أصبحت أميركا بأمس الحاجة إلى اليهود، ولماذا يطلق البعض تسمية "مستعمرة الصهاينة" على هذا البلد[١٨]، فاليهود في الولايات المتحدة الأميركية هم أكثر الأقليات الدينية انسجاماً، وتشير الإحصائيات إلى أن سبعة من كل عشرة يهودي في أميركا يتولون رئاسة أكثر من منظمة أو فئة إجتماعية.

لقد سعى الصهاينة من خلال الخدمات التي قدمتها لهم الحكومة البريطانية وتجاربها على مر تأريخها العريق على الصعيد الإستعماري وخداع الشعوب ونهب ثرواتهم،

وكذلك عبر الدعم الأميركي اللامحدود، إلى تحقيق أطماعهم ومآربهم السلطوية ضمن إطار البروتوكولات والمخططات التي رسمها حكماء صهيون والتي استهدفت السيطرة على الشعوب الإسلامية وتنصيب عملائهم على كراسي الحكم في بلاد المسلمين، وقاموا باقتطاع جزء غال وعزيز من أرض الإسلام بعد أن ارتكبوا مختلف ألوان الإضطهاد والمجازر الجماعية بحق الفلسطينيين أصحاب الأرض.

وهكذا عاد اليهود مرة أخرى لمعاداة الإسلام والمسلمين كما فعل أسلافهم من قبل في عصر النبي الأعظم (ص).

وفي بداية الأمر كان الصهاينة يقدمون الوعود لأتباعهم بـ "أرض الميعاد" من النيل إلى الفرات، ثم طرحوا فكرة "النظام العالمي الجديد" وتخدير شعوب الشرق الأوسط، مستهدفين بذلك فرض هيمنتهم وسيطرتهم على الكرة الأرضية بأسرها، وبينما كانوا منكبين على إجراء وتنفيذ هذا المخطط الشيطاني، فإذا بالصاعقة جاءتهم من حيث لا يشعرون، وإذا بتلك الأحلام والأوهام تكاد تتحول إلى سراب.

الصحوة الإسلامية ونهاية أحلام الصهاينة:

منذ أوائل العام ٢٠١٠، انطلقت موجات السخط والغضب العارم في أوساط جماهير الامة الإسلامية تجاه سياسات القمع والإضطهاد التي مارستها الأنظمة العميلة للإستكبار والصهيونية العالمية، لتحول أحلام الصهاينة بـ "أرض الميعاد من النيل إلى الفرات" إلى كابوس مرعب، فعلى الكيان الصهيوني من الآن فصاعداً أن يسعى سعيه للحفاظ على المستوطنات اليهودية وحسب، وأن يمحو من مخيلته فكرة الإنتصار والسيطرة خارج حدود الضفة الغربية.

يقول وزير حرب الكيان الصهيوني "ايهود باراك" في هذا الصدد: "على الرغم من المصالحة التي تمت بين السلطة الفلسطينية وحركة حماس، إلا أنه يجب علينا أن نستمر في تقديم الدعم المالي للسلطة الفلسطينية، لأن هذه الأموال تصرف للأجهزة الأمنية التي تعمل لصالحنا. نحن بحاجة إلى الأمن والإستقرار في الضفة الغربية ونهتم باستمرار هذا

الثبات الذي هو ثمرة تعاون مشترك بين الجيش والشاباك وجهود الأجهزة الأمنية في الضفة الغربية. وعلى هذا الأساس فإن اهتمامنا ينصب على مواصلة تقديم الدعم المالي للسلطة الفلسطينية بهدف حماية المستوطنات. ومن جهة أخرى يجب أن لا نسمح لحركة حماس بتحقيق إنجازات على الساحة الفلسطينية".

وفي تصريح آخر له حول الصحوة الإسلامية يقول: "بشكل عام أنا متخوف من الثورات العربية التي تجري في الوقت الحاضر في البلدان العربية، لأن هذه الثورات تقوم باستبدال الأنظمة السابقة بأنظمة إسلامية، وهذا ليس في مصلحتنا".

أجل، هذا هو بطل حرب الستة أيام ضد بعض الدول العربية قد شعر بالذل والمهانة وواجه الإنكسار والهزيمة النكراء أمام مجموعة من الشباب المؤمن المقاوم. لقد تمكن أبطال حزب الله من إغراق البارجة الإسرائيلية المتطورة "ساغر ٥" على بعد ١٢ مايل من شواطئ بيروت، وحطم ٩ دبابات من طراز "ميركافا" بطاقمها الـ ٢٦ الذين كانوا بداخلها. هذه الدبابة التي كتبت عنها مجلة "ديفينس نيوز" الشهيرة: "بعد مضي ٣٣ يوماً من الحرب ضد حزب الله، نجح مقاتلو حزب الله بكل جدارة في استخدام الصواريخ المضادة للدروع لصد الهجوم البري الإسرائيلي، بحيث قرر الجنرال "جنتز" وسائر القادة العسكريين الإسرائيليين إعادة النظر حول استخدام الدبابات في الحرب، فقد كان بوسع مقاتلي حزب الله تدمير دبابة باهضة الثمن بسلاح عادي مضاد للدروع، في حين كانت هذه الدبابات تصول وتجول سابقاً".

إن كيان الإحتلال الصهيوني يرى نفسه الآن في مواجهة مع خصم لم يعد يهابه بعد الآن. لقد كان هذا الكيان في السابق بحاجة إلى ٦ أيام فقط لإلحاق الهزيمة بجيوش عدة دول قوية، في حين نراه يواجه هزيمة منكرة في حربه مع تنظيم شبه عسكري، حتى أنه اضطر إلى إيقاف العمليات العسكرية بعد ٣٣ يوماً من استخدام كافة أساليبه وخططه العسكرية.

ولم تكن هذه بالمصيبة الوحيدة التي أصابت هذا الكيان، فقد فشل أيضاً فشلاً ذريعاً

في حرب الـ ٢٢ يوماً التي استهدفت القضاء على حركة حماس وقدراتـه العسـكرية في قطاع غزة المحاصر بشكل كامل.

وهكذا يمكن لنا أن نفسر لماذا بادر قادة هذا الكيان إلى إعادة النظر في شـعار "مـن النيل إلى الفرات" وصار الشغل الشاغل بالنسبة إليهم في الوقت الحاضر السعي للحفـاظ على الأراضي المحتلة حالياً قبل أن يضطروا للتخلي عنها هي الأخرى.

إن الصحوة الإسلامية التي نشهدها في الوقت الحاضر قد عمت أرجاء المنطقة كلـها، وعلى الرغم من الجهد الكبير الذي يبذله الغربيون وأذنابهم في بعض الـدول الإسـلامية لحرف هذه الثورات عن مسارها الصحيح، إلا أنه مما لا شك فيه أن الشعوب هـي الـتي ستتولى زمام السلطة في نهاية المطـاف، ومـن البـديهي أن أول مـا سـينتج عـن هـذه التحولات ولادة حكومات إسلامية لا يمكنها أن تطيـق موجوديـة الكيـان الصـهيوني، وسيتحول كابوس زوال إسرائيل من الوجود الذي ظـل يـؤرق الصـهيونية العالميـة إلى حقيقة واقعية.

لم يكن الصهاينة يتوقعون هذه الأحداث والتحولات على الإطلاق، خاصـة وأنهـم يواجهون في الوقت الحاضر أزمات وصعوبات كثيرة سـواء علـى الصـعيد الـداخلي أو الخارجي، فعلى الصعيد الخارجي أصبحت دعوات مقاطعة الكيان الصـهيوني مـن أهـم المطالب التي تنادي بها الشعوب، فهذا الكيان لا يعـاني مـن عزلـة متزايـدة في منطقـة الشرق الأوسط بل إنه يواجه أيضاً عزلة دولية حتى في أوسـاط الـدول المتحالفـة معـه وأصدقائه في الغرب، وهو ما أظهره العديد من المسؤولين الأوروبيين والأميركيين.

فعلى سبيل المثال تقـول المستشـارة الألمانيـة "أنجـيلا ميركـل" في سـياق انتقادهـا لسياسات الكيان الصهيوني: "أنتم تفتقدون الحد الأدنى للشعور والفهم مـن سياسـاتكم التوسعية تجاه الفلسطينيين".

وخلال لقائه مع نظيره الأميركي "بـاراك أوبامـا" علـى هـامش اجتمـاع مجموعـة العشرين في مدينة "كان" الفرنسية، يوجـه الـرئيس الفرنسـي "نيكـولاس سـاركوزي" حديثه لأوباما قائلاً: "لقد سئمت من التعامل مع نتانياهو.. إنه إنسـان كـاذب ولم أعـد

أحتمله"، فيرد عليه أوباما بالقول: "أنت سئمت منه، ولكن ماذا بوسعي أن أفعل وأنا مضطر إلى التعامل معه كل يوم! ".

من جهة أخرى فإن منح فلسطين العضوية الكاملة في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) بإجماع الآراء ورفع علم فلسطين في هذه المنظمة الدولية باعتبارها دولة مستقلة بعد أن قامت أكثر الدول الأوروبية بالتصويت لصالح العضوية، فهذا إن دل على شيء فإنه يدل على سياسة الإتحاد الأوروبي حول "إسرائيل" لم تعد منسجمة ومتوافقة بين أعضاء هذا الإتحاد كما كانت في السابق، وإن الكيان الصهيوني يواجه عزلة في الدول الغربية.

لقد باتت أكثر الدول الأوروبية وحتى أميركا تدرك بمرور الوقت حقيقة أنه من غير الصحيح المجازفة بسمعتها من أجل كيان لا يُعرف مصيره.

لقد وصل الحال بهذا الكيان إلى أن تقوم دول أوروبا الشمالية (الدول الإسكندفافية) بتوجيه انتقاداتها اللاذعة لهذا الكيان وحكامه بصراحة، وتعلن انزجارها من السياسات التي يمارسها هذا الكيان الغاصب، كما يمكن ملاحظة مدى الإنزجار والشعور بالضجر من الكيان الصهيوني في أوساط المجتمع الأوروبي أيضاً من خلال المظاهرات المناوئة للكيان في مختلف المناسبات، أضف إلى ذلك أن الكثير من هذه الدول تعترف بفلسطين في إطار حدود الـ ٦٧ وتعتبر "إسرائيل" ككيان محتل.

وهناك أيضاً حقيقة أخرى وهي أن الكيان الصهيوني يعاني حالياً من انهيار إجتماعي خطير، فالكثير من اليهود القاطنين في الأراضي المحتلة يحتجون بشدة على الأوضاع المعيشية المتردية في هذه المناطق والتي برزت منذ أواخر العام ٢٠١٠ ولا زالت مستمرة لحد الآن، وقد عجز الكيان عن وضع حد لهذه الأزمة المتفاقمة على الرغم من كل الخطط السياسية والإقتصادية التي انتهجها. ومما زاد في سوء الأوضاع الإقتصادية أن هذا الكيان يعاني من قلة مصادر الدخل، فهذا الكيان يعتمد في استمراره وبقائه على المعونات المالية التي تقدمها الولايات المتحدة الأميركية والشركات متعددة الجنسيات الصهيونية وكبار الرأسماليين اليهود بالإضافة إلى المساعدات الأوروبية.

لقد بات التمييز الإجتماعي الذي يعاني منه المجتمع اليهودي في الأراضي المحتلة يلقي بظلاله الثقيلة على الأوضاع المعيشية المتفاقمة في هذا الكيان، وقد تظاهر مئات الألوف في الآونة الأخيرة تعبيراً عن إحتجاجهم على هذه الأوضاع، وهو عدد مرتفع جداً قياساً بمجموع سكان الكيان الصهيوني البالغ سبعة ملايين وأربعمائة ألف شخص، وتشير بعض الدراسات التي أجريت نهاية عام ٢٠١١ أن المجتمع الصهيوني بدأ يتآكل من الداخل شيئاً فشيئاً، وأن كل المحاولات المستميتة التي يبذلها قادة الكيان للخروج من هذا المأزق سوف لن تثمر أي نتيجة.

هوية الصحوة الإسلامية:

من خلال العرض المتقدم لصفحات التأريخ فيما يخص الأحداث التي جرت في العصر الإسلامي الأول، وبعد قراءة للخريطة السياسية العالمية المعاصرة، يمكن لنا أن نستنتج بوضوح أن النهضات والصحوات التي نشهدها في الوقت الحاضر تحمل طابعاً مناوئاً للصهاينة والإستكبار العالمي بقيادة أميركا وبريطانيا، وتدعو إلى تحقيق العدالة والتخلص من ظلم وإضطهاد الأنظمة العميلة والمستبدة، وهذا التقابل هو نفسه التقابل التأريخي بين الحق والباطل، وبين الإسلام واليهود، وبالتالي التقابل بين المستضعفين والمستكبرين.

إن الشعارات التي أطلقها الثوار طوال مجريات وأحداث الصحوة الإسلامية التي شهدناها مؤخراً، خير شاهد على هذه الحقيقة، فقد كانت الشعارات الإسلامية من قبيل "الله أكبر" و"هيهات منا الذلة" هي القاسم المشترك بين كل الثوار في مصر وتونس واليمن والبحرين وليبيا.

الخاتمة:

لقد وعد الله جل وعلا في كتابه العزيز بأنه سينتصر للمستضعفين وينصرهم على المستكبرين ويجعلهم أئمة الأرض ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ

وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[١٩]، وفي آيات عديدة يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢٠]، وفي آية أخرى يقول تعالى شأنه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّـهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّـهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٢١].

إن ما وعد به ربنا قاب قوسين أو أدنى من التحقيق، فالصحوة الإسلامية العارمة تمتلك الآن من المقومات ما يتيح لها قلب موازين القوى لصالح المستضعفين، ليس في الشرق الأوسط فحسب، بل في العالم بأسره، فهذه الحركة العظيمة ستواصل تقدمها ولن تتمكن أية قوة في العالم التصدي لها أو عرقلة حركتها، وستسحق لا محالة قوى الإستكبار والصهاينة وعملاءهم، وهي التي ستجسد قريباً بإذن الله تعالى نبوءة الإمام الخميني الراحل "قدس سره" الذي قال: "إن إسرائيل يجب أن تزول من الوجود"، وكما يؤكد قائد الثورة الإسلامية الإمام الخامنئي "دام ظله": "يجب إنقاذ القدس... يجب على الدول العربية أن تجتمع وتتحد لإزالة إسرائيل من أرضهم وقطع يد المستعمرين".

اللهم أشغل الظالمين بالظالمين واجعلنا من بينهم سالمين غانمين آمين رب العالمين.

الهوامش:

١. المائدة / ٨٢.

٢. آل عمران / ٧٥.

٣. تفسير القرطبي / ٤ / ١١٥.

٤. مجمع البيان / ٧ / ٣٥٢.

٥. آل عمران / ٦٤.

٦. صحيح البخاري ج ٥ ص ١٣٧.

٧. لقد كان الصهاينة قبل الحرب العالمية الأولى يعقدون الأمل بألمانيا ولكن بعد أن شعروا باقتراب هزيمة ألمانيا وانتصار بريطانيا اتجهت أنظارهم للأخيرة.

٨. الصهيونية، يوري ايوانف، ص ٥٤ و٤٨ و١٣.

٩. يعتقد ماكس نوردو (Max nordau) وهو أحد زعماء الصهاينة في القرن العشرين أن الصهيونية اختراع بريطاني. راجع: الصهيونية، ايوانف، ص ٥١.

١٠. الصهيونية، ايوانف، ص ٤٧.

١١. Seventh Eart shafes bury.

١٢. الصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ص ٨. الصهيونية، ايوانف، ص ٦٩.

١٣. الصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ص ٢٩.

١٤. إسرائيل والعرب، ماكسيم رودنسون، ترجمة ابراهيم دانايي، ص٢٤. جذور الأزمة في الشرق الأوسط، حميد أحمدي، ص ٦٣.

١٥. على الرغم من المرونة التي كان يبديها الأتراك تجاه الصهيونية، إلا أنهم كانوا يسعون الحفاظ على وحدة الإمبراطورية العثمانية ويناهضون انفصال فلسطين عنها، راجع: تأريخ فلسطين الحديث، عبد الوهاب كيالي، ترجمة محمد جواهر كلام، ص ٩٦-٩٩.

١٦. أشرنا فيما سبق أن الصهاينة كانوا قبل الحرب العالمية الأولى يعقدون الأمل بألمانيا ولكن بعد أن شعروا باقتراب هزيمة ألمانيا وانتصار بريطانيا وأيضاً دعمها الواسع للصهاينة، اتجهت أنظارهم للأخيرة.

١٧. كان الأتراك قد عينوا الشريف حسين بمنصب شريف مكة عام ١٩٠٨.

١٨. العالم تحت السيطرة الصهيونية، ص ٩-١٧. المنظمات اليهودية في أميركا وإسرائيل، لي اوبرين، ع.ناصري، ص ١٦-١٨.

١٩. القصص / ٥.

٢٠. القصص / ٨٣.

٢١. التوبة / ٣٧.